# صورة الزهراء عليها السلام الأم وربة البيت في المعاجم اللغوية

الأستاذ المساعد الدكتور
حميد سراج جابر الاسدي
جامعة البصرة ـ كلية التربية

# صورة الزهراء عليها السلام الأم وربة البيت في المعاجم اللغوية

الأستاذ المساعد الدكتور
حميد سراج جابر الاسدي
جامعة البصرة ـ كلية التربية

## المقدمة:ـ

تختص الدراسة التي بين أيدينا بدراسة صورة الزهراء عليها السلام **(الأم)** ولكن هذه المرة في المعاجم اللغوية وليس في كل المصادر إذ تعد المعاجم من المؤلفات المختصة بالجانب اللغوي إلاّ انها في الوقت نفسه كتب موسوعية للباحثين يمكن أن ينهلوا منها الكثير من المعلومات التاريخية التي قد لا توجد في المصادر الأخرى، وقد درسنا في الآونة الأخيرة موضوعات فكرية عدة وبمختلف الجوانب في ضوء المعاجم ومن دراساتنا هذه مؤلفات كتب ورسائل وبحوث.

واليوم نحاول في هذا البحث المتواضع دراسة شخصية السيدة الزهراء عليها السلام **(الأم)** من المعلومات التي وردت في المعاجم اللغوية عنها، وقد لا نجد الكثير من المعاجم قد أفادتنا في هذا الإطار بسبب جزئيته وخصوصيته إلاّ أننا حصلنا على معلومات مهمة في قسم آخر من المعاجم أكملت الصورة عن الأم في شخصية الزهراء عليها السلام، ونقصد شخصية الأم في أسرتها ولا نتعدى إلى موضوع آخر قد لا يرتبط بموضوعنا الأساس.

قام البحث على دراسة مواضيع عكست صورة الزهراء الأم في فكر أصحاب المعاجم اللغوية، وأول هذه المواضيع هو مسألة رعايتها عليها السلام لطفولة أبنائها وكيفية تعاملها معهم بالمستوى المادي الذي يخص ما يرتدونه ويلبسونه، والمستوى المعنوي من توزيع العاطفة والحنان والحرص، الى جانب المستوى التربوي والذي يعد تحصيل حاصل للمستويات الأخرى، ولا ننسى رعايتها

لمبدأ الطفولة بشكل عام بغض النظر عن الانتماء أو القربة للطفل وهذا ما أفصحت عنه الدراسة بمعلومات نصية عن هذه الفكرة.

وتناول الموضوع الثاني أعمال الزهراء عليها السلام المنزلية بحسب المعلومات التي أوردتها هذه المعاجم والتي تنوعت وعكست واقع عقلية سيدة نساء العالمين البناءة، فما ظهر وتركز من أداء الزهراء عليها السلام لكل الأعمال الشاقة في المنزل بما يحقق الاستقرار والرعاية للأسرة يمثل نقطة تحول في فكر واضعي الدساتير العالمية، فعندما يكون الحديث عن سيدة نساء العالمين وهي التي تتحرك بنطاق تثقيفي للمجتمع سيما وإنها تمثل الأسوة الحسنة.

ومن هنا فقد صورت لنا المعاجم اللغوية تلك المرأة الأم عليها السلام وهي توفق بين التربية النفسية والجسدية للطفل، وبين توفير الجو الملائم وذلك بأداء أعمال المنزل وإن كانت شاقة أو صعبة، وكانت هذه الأم عليها السلام تستطيع بمكانتها وجاهها أن تتخير كما تريد، بيد انها لم تكن بهذه المكانة إلاّ بهذا السمو الأخلاقي وبنفس الإيثار الذي يستنتجه القارئ حالما يمر على سيرة الزهراء عليها السلام العطرة.

ولعل من أبرز الأعمال المنزلية التي أشارت إليها المعاجم اللغوية هي قيامها بتنظيف بيتها وكنسه بنص ذكر المعاجم حتى تغبر ثيابها، كما انها تقوم بالطبخ وبالوسائل التي تتناسب مع امكانياتهم آنذاك حتى تصبح تصطبغ ملابسها من أثر دخان الطبخ، لكنها في النهاية تعد الطعام الذي يتلاءم مع طبيعة حياة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

ودرس البحث النصوص الخاصة بالأثر المادي الذي طرأ على الزهراء الأم عليها السلام بسبب المشقة والتعب الناجمين من نوعية الأعمال التي تؤديها لاكمال متطلبات حياة الأسرة الكريمة وكيف تأثر الإمام علي عليه السلام عليها وإجراءاته في ذلك.

وعلى العموم فقد صورت المعاجم اللغوية صورة الأم في حياة الزهراء بما نقلته لنا من روايات عدت المصدر الأساس في بيان الفكرة، فيما تم الاعتماد على مصادر أخرى لتأكيد فكرة المعاجم أو رفضها.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يضع هذه الدروس بين يدي أمهاتنا وبناتنا لتكون الزهراء عليها السلام القدوة التي تحقق البناء الصالح للمجتمع المثقف، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت واليه أنيب.

## أولاً: رعاية الزهراء عليها السلام للطفولة

من المعلوم إن مكانة الزهراء عليها السلام وعالميتها لا تعني بأي حال من الأحوال انعزاليتها وخصوصيتها بالنسبة للأسرة والمجتمع، كما قد يفهم بحسب المنطق السائد اليوم، إنما هذه المكانة والعالمية جاءت أساساً من شخصيتها واندماجها بالأسرة والمجتمع فكانت مثال المطبق لأحكام الشريعة، بل أصبحت القدوة في بناء الأسر الكريمة التي تخدم المجتمع، لذا فقد أورد أرباب المعاجم الكثير من النصوص التي ترسم صورة الزهراء عليها السلام الأم في البيت والمحافظة على الكيان الأسري، ومن هنا جاءت هذه النصوص لتحدد فلسفة وأسلوب رعاية الأبناء وكيفية إعدادهم للمجتمع ليكونوا قادة في مجتمعهم.

إن استقراء المعلومات التي جاءت بها المعاجم عن كيفية رعايتها عليها السلام لأبنائها يضعنا في صورة دستور محمدي في التربية فقد نقلت المعاجم كيفية ملاعبة الزهراء عليها السلام لهم واعطائهم حق الطفولة لأن فعل الزهراء عليها السلام يمثل درس من الدروس فهو فعل خاص بأسرتها ولكنه عام بحساب موضوع القدوة الحسنة، ومما أوردته المعاجم في هذا الإطار إن الزهراء عليها السلام كانت تزفن للحسن أي ترقصه، وأصل الزفن اللعب والدفع، وبالتأكيد فإن هذا الفعل يوحي بأمور:

♦ إن الزهراء عليها السلام كانت تمثل عاطفة الأمومة في هذا المقام والتي هي جزء أساس في منطق التربية سيما وإنها باب الحنان الذي يعول عليه أرباب التربية وعلم النفس كثيراً في خلق مجتمع صالح.

♦ كما أسلفنا إن الدرس حاضر بشكل جلي في أكثر من اتجاه:

**الاتجاه الأول:** هو إن المكانة والجاه لا يمثلان تحصين عن القيام بالواجبات الخاصة.

**الاتجاه الثاني:** هو إن مراحل حياة وطفولة الأئمة قد مرت بشكلها الطبيعي من حيث التربية النبوية وما شاكل، ورأينا ذلك في طفولة الإمام الحسن عليه السلام.

وبجانب آخر وكتأكيد على رعاية الزهراء عليها السلام لأطفالها نجدها تحرص على تزيينهم بما يتوافق مع الشرع أولاً والطفولة ثانياً إذ أوردت المعاجم إن الزهراء عليها السلام حلّت الحسن والحسين عليهما السلام، بقلبين من فضة، والقلب هو السوار..

وبغض النظر عن الجانب الفقهي في مسألة التزين بالفضة بالنسبة للأطفال والذي دار حوله النقاش عند الفقهاء سيما وان بعضهم اتخذ هذه الرواية أساساً في المحاججة، بيد ان ما يعنينا هو كسر ذلك التصور السلبي في دراسة حياة الأئمة عليهم السلام بشكل يبعدهم بابعاد سيرتهم عن المجتمع الذي يحتاج الى مربين مثل أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأوردت المعاجم رواية أخرى عن تزيين الزهراء عليها السلام لأبنائها ولكن هذه المرة عن الإمام الحسين عليه السلام فقط إذ نقلت ان في حديث فاطمة عليها السلام فألبسته سخابا، يعني ابنها الحسين الخرص والسخاب، يعني القلادة، قال ابن الأثير: هو خيط ينظم فيه خرز، وتلبسه الصبيان والجواري.

وهناك ما يؤيد هذا الكلام من الناحية الشرعية بخصوص الباسهم قلادة معينة مخصوصة، فقد ورد ذلك عن الأئمة عليهم السلام إلاّ ان ما يهمنا مسألة الرعاية

التي كانت توليها الزهراء عليها السلام لأبنائها في مرحلة إعداد مبكرة، وكانت عليها السلام تحرص على راحة أبنائها بكل الصور حتى صورت المعاجم ذلك بشكل جلي حينما أوردت إن الزهراء عليها السلام كانت تحملهم على وركها، وقد قيل إنها عليها السلام جاءت متوركة الحسن أي حاملته على وركها. هذا على الرغم من صعوبات الظرف الذي كانت تمر به الزهراء عليها السلام وإيثارها المعروف للفقراء ولعائلتها.

وبلغ مدى الاهتمام والرعاية الأسرية التي كانت توليها الزهراء عليها السلام للحسنين عليهما السلام انها لا تطيق ابتعادهما عنها، وكان الرسول صلى الله عليه وآله يقدّر هذه المسألة، لذا فقد أوردت لنا المعاجم نقلاً عن أبي هريرة قوله (كنا عند النبي صلى الله عليه وآله في ليلة ظلماء حندس وعنده الحسن والحسين، فسمع تولول فاطمة، رضي الله تعالى عنهم، وهي تناديهما: يا حسنان، يا حسينان فقال: الحقا بأمكما. (وورد الحديث في معاجم أخرى ناقصاً ولكنه أشار إلى موضع الشاهد في كلامنا هذا إذ ورد منه القول) فسمع تولولها تنادي يا حسنان، يا حسينان .الولولة: صوت متتابع بالويل والاستغاثة.

ولعل الإشارة أو وصف طلب الزهراء عليها السلام بالولولة يعكس أموراً عدة:

- صورة الدعوة المؤثرة الحنينة، والمملؤة بالعاطفة والاشتياق.
- لفظ حسنان أو حسينان يدل هو الآخر على ذلك الترابط الوثيق بين الأم وطفليها وبينهما معاً.
- الحديث يصور خوف الزهراء عليها السلام على طفليها سيما من شدة الظلمة كما يصفها الحديث.
- موقف الرسول صلى الله عليه وآله الذي راعى الارتباط الروحي بين الجانبين.

وكان من أثر هذه التربية وهذه العلاقة أن أصبح الحسنان يوصفان بأمهما كما تذكر المعاجم اللغوية حتى قيل لهم ابنا الفواطم والزهراء عليها السلام هي أولى

امهاتهم بهذا الاسم إذ أورد أرباب المعاجم انه قيل للحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ابنا الفواطم، فاطمة أمهما، وفاطمة بنت أسد جدتهما.

وتعد رعاية الزهراء لطفليها بحسب ما ذكرته المعاجم رعاية للطفولة بشكل عام وليس بخصوصية الأمومة المباشرة سيما وإن نفس المعاجم قد ذكرت لنا نصاً عن تربيتها لغير أبنائها مثل أبو نيزر وكان من بعض أولاد ملوك الأعاجم، وقيل أنه من ولد النجاشي، فرغب في الإسلام صغيراً، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسلم، وكان معه في بيوته. فلما توفى صلى الله عليه وآله، صار مع فاطمة وولدها .

وهذا النص ان كان يدل على شيء فهو يدل على الهدف السامي في التربية التي كانت الزهراء عليها السلام تثقف لها، ففعلها عليها السلام هذا يؤطر لجملة أمور:

- ♦ إطار أخلاقي في المساواة والأخوة في الدين والإنسانية.
- ♦ رعاية الطفولة كمبدأ في التربية، يرقى على مفهوم القرابة.
- ♦ استكمال ما بدأه الرسول صلى الله عليه وآله من سبل القضاء على إرث الماضي وزرع قيم إنسانية أخلاقية تتناسب مع الدين.

**الزهراء عليها السلام ربة البيت:ـ**

إن مفهوم الأمومة ورعاية الأسرة يتعدى الجانب التربوي والنفسي ليشمل صوراً عملية تقوم بها المرأة في بيتها وهي متطوعة لذلك، ولكننا نجد ان الزهراء عليها السلام كانت توفق بين رعايتها النفسية والتربوية والإعدادية لأبنائها وبين توفير الجو الملائم بشكل عملي في الأسرة، وهذا ما يمكن استقراءه من المعطيات التي جاءت بها المعاجم اللغوية والتي جسدت طبيعة عمل الزهراء في البيت ومعاناتها الكبيرة اثر ذلك وهو الأمر الذي يمثل لها سعادة ما بعدها سعادة.

وأول مصاديق ذلك في المعاجم اللغوية هو ما يخص قيامها بتنظيف الدار وكنسها، إذ أوردت هذه المعاجم انها عليها السلام قمت البيت حتى اغبرت ثيابها أي كنسته. (وورد بصيغة أخرى في المعاجم أيضاً انها) كسحت البيت حتى أغبرت ثيابها أي صار فيها غبار.

وعلى كلا القولين فإن الزهراء تلك المرأة العظيمة سيدة نساء العالمين قد وظفت هذا العمل لكسر عادات جاهلية وإن كانت في عصر التطور كعصرنا اليوم وهي إن المرأة التي تمتلك مركز ما يجب أن لا تنسى أنوثتها ورسالتها في التربية وتأسيس الأسرة الصالحة التي هي بالأساس بذرة المجتمع الصالح. وكانت تعمل على التركيز في نظافة هذه الدار وتطييبها فقد أوردت المعاجم انها عليها السلام نضحت البيت بنضوح أي طيبته وهي في الحج. ويقصد في أيام الحج وهي في بيتها وبعد أن احلوا بأمر الرسول صلى الله عليه وآله.

ليس هذا فحسب وإنما كان الطبخ من المصاديق الأخرى على عمل الزهراء عليها السلام في الدار، إذ أوردت المعاجم اللغوية انها عليها السلام أوقدت القدر حتى دكنت ثيابها، دكن الثوب إذا اتسخ واغبر لونه يدكن دكنا يقال دكن الثوب دكنا من باب تعب مال إلى الغيرة، وهو بين الحمرة والسواد ومنه "ثوب أدكن".

وكانت عليها السلام تصنع الأكل وبما يتوافق مع المتوفر من امكانيات أولاً، وبما يناسب القناعة التي يدعو لها الإسلام، وأوردت المعاجم نصوص عن صنعها الأكل للرسول صلى الله عليه وآله وقناعته به إذ ورد إنها عليها السلام أتت النبي صلى الله عليه وآله، ببرمة فيها سخينة فأكل وما سامها غيره، هو من السوم التكليف، وقيل: معناه عرض علي، من السوم وهو طلب الشراء.

وجاء في نص آخر أكثر دلالة إنها عليها السلام جاءت النبي صلى الله عليه وآله، ببرمة فيها سخينة

أي طعام حار، وقيل: هي طعام يتخذ من دقيق وسمن، وقيل: دقيق وتمر أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة، وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها حتى سموا سخينة.

ويمكن الالتفات إلى جملة أمور بهذا الإطار:

- ♦ دور الزهراء عليها السلام في إكمال كل صور الأمومة ورعاية الأسرة وان كان الطبخ أمر غير مفروض على المرأة إلاّ انه جزء مكمل في بناء الأسرة.
- ♦ دور المرأة المدبرة التي تتعامل مع الإمكانيات المتاحة لا مع المظاهر الكذابة.
- ♦ القناعة التي أراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يجعلها درساً عاماً للناس.

ويأتي ضمن هذا الكلام ما ورد على وجه العموم في هذه المعاجم من أن الزهراء عليها السلام أخرجت صحيفة فيها ثريد وعراق تفور. والعرق أيضا: مصدر قولك عرقت العظم أعرقه بالضم عرقا: إذا أكلت ما عليه من اللحم.

ولعل مسألة الطحن والخبز من أهم المسائل التي تناولتها المعاجم وهي تصف الزهراء عليها السلام بشكل مؤثر جداً فقد أوردت عن ابن عباس أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أناس فقال: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جاريتهما صوم ثلاثة أيام إن شفيا، فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاث أصوع من شعير وطحنت فاطمة عليها السلام صاعا واختبزت خمسة أقراص، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء فأصبحوا صياما، فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فأثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك.

وقد تأثرت الزهراء عليها السلام من هذا العمل والجهد مادياً ولم تتأثر معنوياً،

لأنها تؤدي رسالة تستحق التضحية، فهي رسالة للإنسانية جمعاء، لذا نجد المعاجم اللغوية تورد شكواها عليها السلام للإمام علي عليه السلام من مجل يديها من أثر الطحن، وقد وردت بصيغة أخرى هي أنها (طحنت بالرحاء حتى مجلت يداها) وهو من قولهم مجلت يده :إذا ثخن جلدها وتعجز وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة، والنص الثاني يختلف عن الأول في كونه يؤكد على كثرة الطحن الى درجة وجود المجل.

وربما نجد ان المعاجم أوردته بصيغة أخرى أكثر مبالغة ومن ثم أكثر دلالة إذ ذكرت وفي يدها أثر قطب الرحى،..وهي الحديدة المركبة في وسط حجر الرحى السفلى. وكما أسلفنا فرجوعنا لأي نص من هذه النصوص يؤكد المطلب ويدل ويحقق رسم صحيح ومنطقي لصورة الزهراء عليها السلام في المعاجم في ميدان رعاية الأسرة والمنزل.

وقد ترتب على ذلك ان سعى الإمام علي عليه السلام لانهاء معاناة الزهراء عليها السلام مع هذه الأعمال الشاقة قياساً بالإمكانيات المتوفرة، فقد دعاها كما تذكر المعاجم لطلب خادم من الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً لها عليها السلام (اسألي أباك خادما تقيك حر ما أنت فيه) والخادم: واحد الخدم، ويقع على الذكر والأنثى لإجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال.

وقد نجد ان بعض المعاجم ذكرت كلام الإمام علي عليه السلام الذي دعا فيه الزهراء عليها السلام لطلب خادم مقروناً بأسباب هذا الطلب، إذ ورد قوله عليه السلام لو أتيت النبي صلى الله عليه وآله فسألت خادما يقيك حرما أنت فيه من التعب والمشقة من خدمة البيت "لأن الحرارة مقرونة بهما كما أن البرودة مقرونة بالراحة والسكون. وقيل أنه كثر في الكلام بمعنى الجارية.

وينبغي أن نفهم إن هذا الكلام فيه عدد من الدلالات:

- تأكيد ما مر سابقاً من عمل الزهراء في البيت بكل أنواع الأعمال.
- حرص الإمام علي عليه السلام على مراعاة الزهراء وانهاء معاناتها المستمرة.
- تأكيد قسوة الظرف آنذاك وصعوبة العيش لاسيما عند الزاهدين والمرتبطين بالله تعالى.
- إن الزهراء عليها السلام كانت توفق بين الجانب التربوي والأعمال المنزلية.

**قائمة المصادر والمراجع**


- **القران الكريم**.
- ابن الاثير، ابو السعادات المبارك(ت٦٠٦).

  النهاية في غريب الحديث والاثر، تح طاهر احمد الزاوي – محمود محمد، ط٤، قم، ١٣٦٤.
- البخاري: ابو عبدالله محمد(ت٢٥٦هـ).
- الصحيح، دار الفكر بيروت ١٩٨١.
- البروجردي، (ت١٣٧٣هـ).
- جامع احاديث الشيعة، قم ١٣٩٩.
- البكري الاندلسي: ابو عبيد عبدالله (ت٤٨٧هـ).

  معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، بيروت ١٤٠٣.
- الرازي: ابو محمد عبد الرحمن بن محمد (ت٣٢٧هـ).

  الجرح والتعديل، ط١، بيروت ١٣٧١.
- الزبيدي: ابوالفيض محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ).

  تاج العروس، بيروت، د.ت.
- الطبري، محب الدين احمد بن عبدالله (ت٦٩٤هـ).
- ذخائر العقبى، طهران ١٣٥٦.

- الطريحي، الشيخ فخر الدين (ت١٠٨٥)

- مجمع البحرين، تحقيق السيد أحمد الحسيني،ط٢، طهران، ١٤٠٨هـ

- المجلسي: محمد باقر (ت١١١١هـ).

بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط٢، بيروت،١٤٠٣.

- الميرزا النوري (ت١٣٢٠).

-مستدرك الوسائل،تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء بيروت،١٩٨٧م.

- النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ).

سنن النسائي،ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان،١٣٨٤هـ/١٩٣٠م.

- الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، ١٤٠٨.